ديمتروف

مؤسس الحركة النقابية في بلغاريا - تاريخه وموضوعاته ونضالاته

في الثامن عشر من حزيران الجاري يحتفل الشعب البلغاري ويحتفل معه كل الشيوعيين والتقدميين في العالم اجمع بالذكرى السنوية التسعين لمولد جورجي دیمتروف .

ان حياة وعمل جورجي دیمتروف ، اسن الشعب البلغاري العظيم ، لا ينفصلان عن الصراع الطبقي الذي خاضه البروليتاريا البلغارية وحركة الطبقة العاملة العالمية ، وعن النضال من اجل انتصار الشيوعية في العالم اجمع .

لقد كتب لينين يقول : « ليس من طبقة واحدة في التاريخ تسلمت السلطة دون ان تفرز قادتها السياسيين وممثليها البارزين القادرين على تنظيم حركتها وقيادتها ، وكونت الطبقة العاملة والحركة الشيوعية في العالم ، وما زالت تكون مفكرين عظاما وقادة ومنظمين وسياسيين ورجال دولة بواكيون مسيرة التاريخ .

وجميع هذه الصفات كانت متجسدة في شخص جورجي دیمتروف، عامل الطباعة والمناضل الشيوعي وزعيم الحزب الشيوعي البلغاري والرجل الذي رفعه البروليتاريا العالمية الى مرتبة منظم وزعيم ومنظر لنضالها الثوري(١) .

بهذه العبارات يلخص جيكوف الكرنسر الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري، ورئيس مجلس الدولة البلغارية، اهمية دیمتروف وتاثير دوره في نضال الطبقة العاملة البلغارية والعالمية وتاريخها المعاصر الذي لعب دیمتروف فيه دورا مرموقا واحتل مكانا بارزا في الصدارة على امتداد النصف الاول من هذا القرن!

ان جيكوف على حق حين يؤكد على « ان المهمة الرئيسية لنشاط دیمتروف المتعدد الجوانب وجوهر حياته كانت الامهية البروليتارية والنضال من اجل وحدة عمل الطبقة العاملة والاحزاب الشيوعية والعمالية » (٢) .

لقد كان نشاط دیمتروف متعدد الجوانب بالفعل والفعل هما . ومن استعراضنا لابرز الشخصيات في الحركة الشيوعية العالمية ، نجد ان نضال دیمتروف يمتاز بالشمول اكثر من اي منهم ، فعلاوة على انه داعية ومناضل وثائر وطني وعالمي ، شهدت له المحاكم والسجون والمعتقلات البلغارية والمالية نضاله وموافقه الصلبة ، وعلاوة على انه خطيب مفوه ومنظر عالج العديد من المشاكل النظرية بقوة رجل دولة من الطراز الاول ، ولعل مؤلفاته واثار ممارساته العملية خير شاهد ودليل على كل ذلك .

وبالاضافة الى كل هذه الصفات فان دیمتروف كان نقابيا ثوريا على الصعيد الوطني والعالمي وقائدا لكفاح الشعب البلغاري المسلح ، وموجها لنضال الحركة الشيوعية العالمية كافضل ما يكون التوجيه والقيادة . واهمية دور دیمتروف وتاثير شخصيته لا تاتي من كونه على درجة كبيرة من التاهيل النظري مكنته من ان يكون من ابرز الدعاة البروليتاريين فقط وانما بكونه يمتلك الى جانب مؤهلاته النظرية الكبيرة التي اكتسبها من سعة مطالعاته لتراث الماركسية - اللينينية ، تجربة عملية غنية ، فقد كان بحق واحدا من الرجال الافذاذ الذين يبشرون بالنظرية بواسطة الامثلة الحسية التي يعطيها لطلابه ومريديه ، من تجربته الخاصة ، فهو لا يتحدث عن النظرية المجردة ، كما يتحدث المفكرون الذين يصوغون نظرياتهم بالاستناد الى معارفهم وثقافتهم النظرية المجردة ، بل انه يتحدث عن الفعاليا الفكرية حدثا مقرونا بالوقائع المستمدة من ممارساته العملية ، انه داعية قد ومحرض قدير شهدت له ساحات النضال قدرة فائقة الحد في تحريض الجماهير وحشدها ضد اعدائها !

وعلى سبيل المثال ، ولسي الحصر فان دیمتروف عندما يتحدث عن الكفاح المسلح واساليب حرب التحرير الشعبية فان حديثه يستند الى تجربته الخاصة في قيادة اول انتفاضة مسلحة ضد الفاشية في العالم . وهو عندما يتحدث عن الصمود بوجه الارهاب الفاشي وتحدي الفاشية والفاشيين ، فانه يعطي من صموده وتحديه للفاشيين في محكمة لايبزنغ واهانته لغورنغ وغوبلز واضرابهما من الحكام الالمان الفاشيين ، في وقت كان يعلم فيه ماسه يساق لمحكمة شكلية لتقضي على اغياله شرعنة شكلية قانونية ، وهو عندما يتحدث عن جبهة العمل الموحد الوطنية والشعبية وحشد الحلفاء في اطار تاييد الطبقة العاملة وتدعيم نضالها ، فانما يتحدث عن خبرته الطويلة في هذا المجال ان على صعيد وطنه بلغاريا وان على صعيد العالم كله ، وهو ان تحدث عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ومختلف المسائل المتعلقة بتنظيم الدولة الحديثة التي تواجه الثوار عندما يستلمون السلطة وهم لا يمتلكون سوى الاخلاص والحماس الثوري ، فانه يتحدث عن خبرته في تنظيم الدولة البلغارية وارساء اسس قاعدتها الاقتصادية ، لتكون دولة دیمقراطية - اشتراكية ، وهو عندما يتحدث عن تنظيم النقابات العمالية باعتبارها المنظمات الجماهيرية التي تعبىء العمال على مختلف حرفهم ومهنهم وميولهم السياسية والنقابية ، فانه يتحدث عن تجربته الرائدة في هذا المجال ، فهو ابن الطبقة العاملة البار الذي تربى باحضانها واستكمل معارفه ومؤهلاته في مدرستها النظرية والعملية التي تعتبر من اوسع المدارس واغناها واقدرها على تفسير الواقع وتغييره .

ولكي لا يبقى الحديث عاما ومفتقرا لشهادة الوقائع على صوابه وصحته ، فاننا نستميح القارىء الكريم اذنا بان نسدي الوقائع بشيء من التفصيل للتاكيد على ما يتميز به بطلنا الخالد الذي نحتفل اليوم بذكرى ميلاده التسعينية .

ميلاد مناضل

« لم يكن ثمة قط في تاريخ الشعب البلغاري شخصية كشخصية جورج دیمتروف ، احاطها الشعب فاطية بمثل هذا التقدير والحب باعتباره القائد والمعلم الذي يتمتع بمثل هذه الشهرة وسط جميع شعوب العالم » (٣)

هذه حقيقة لا مراء فيها اطلاقا ، وشهادة فاسيل كولاروف(٤) اقرب رفاق دیمتروف في السلاح طوال نصف قرن من نشاطه البطولي .

يقول كولاروف :

« ان جميع رجال العمل والتقدم ، الذين يرون ضمان مستقبل الشعوب في انتصار الدیمقراطية التام على البقايا الفاشية المتطفة ، على الرجعية السياسية والاجتماعية ، وفي تقلب الشعوب الدیمقراطية والشوفنة بالحرية، تغليا حاسما على مثيري ومنظمي حرب عالمية جديدة ، انما يرددون باسمى المشاعر واصدقها اسم ذلك الابن البار للشعب البلغاري المحب للحرية ، الذي احرز النصر الاول على الهتلريين الاشرار ، وقد زاد من اهمية هذا النصر ، انه احرز في مرحلة استفحال الخطر الفاشي الذي كان يتصاعد مزمجرا للانقضاض على اوروبا باسرها . وقد اوضح الرفيق جورجي دیمتروف ، عمليا ، ان العدو الصاعد ليس مغفلا الى الدرجة التي يبدو بها ، وانه يكفي لسحقه ، ان ترى الشعوب الدیمقراطية الاخطار بوضوح ، وان تعيء وتوحد قواها لمجابهته وخنقه .

ان الرفيق جورجي دیمتروف واحد من اكثر شخصيات العصر شعبية . انه يحظى بالحب والتقدير الخلصين من قبل جميع اصدقاء التقدم ، كما انه يفرض هيبته على اعداء الدیمقراطية والتقدم » (٥) .

هذا هو راي وتقييم كولاروف لبطلنا الخالد ، الذي نحل يوم الثامن عشر من حزيران الجاري الذكرى السنوية التسعون على ميلاده .

ان التاريخ لم يعرف انسانا لم يتجاوز عمره السابعة والخمسين سنة وبضعه عشر يوما استطاع ان ينجز هذا القدر الكبير من الاعمال النظرية والعملية ، وان يحتل هذه المكانة النضالية والمركز القيادي في مجالات الحياة كلها دون استثناء ، وهو العامل البسيط الذي دخل معترك الحياة وعمره اثني عشرة سنة وتحصيله المدرسي لا يتجاوز الصفوف الاولى من مرحلة الدراسة الابتدائية .

ان الطفل الذي رأى النور في صباح الثامن عشر من حزيران ١٨٨٢ . قد بلغ نشاطه في صفوف عمال الطباعة درجة شملت الحياة النضالية بكل جوانبها ، منذ ١٨٩٧ . الامر الذي يثير الانتباه ، ويطرح تساؤلا وجيها عن مصدر اكتساب لهذه الكفاءة المبكرة ؟

ان البحث عن اجابة مقنعة على هذا التساؤل يقف عند بيئة الطبقية البروليتارية التي يعود لها وحدها الفضل الاول في تنشئة الثورية وتوجيهه ليسير بطريقها الثوري بدون تردد او نهاون !

ليست هذه مبالغة بل هي حقيقة . فجورجي دیمتروف هو الذي رسم طريق النضال لكل افراد عائلته . فابوه توفي عام ١٩١٣ ، وكان حرفيا صغيرا ثم غدا عاملا فيما بعد . وبفضل ابنه الاكبر جورجي فقد اصبح نصيرا لاراء اولاده الثورية .

وامه بقيت طوال حياتها وهي الانسانة الطاعة تسهم بالنضال بتوجيه من ابنها الاكبر، وقد كانت تنقل المنشورات والرسائل بصحبة ابنتيها الكبرى والصغرى ، تستهض الطبقة العاملة العالية دفاعا عن ابنها وانقاذا له من قبضة الفاشيين وهي العجوز البالغة من العمر اثنين وسبعين سنة ، وعندما قابلته في السجن همست باذنه : ان الطبقة العاملة العالمية كلها معك يا ولدي ! وستنحرر بقوة ارادتها !

اما اخواته : فقد سقط اخوه فسطنين في ساحة الحرب بعد ان انتزعته الفاشية من بين احضان الطبقة العاملة وكان سكرتيرا لنقابة عمال المطابع في صوفيا . وكان السبب في سوقه الى الحرب البلغانية هو نشاطه المناهض للفاشية فارسلته الى الموت حيث قتل ولم يعرف له قبرا . واستشهد اخوه نقولا ، في سيبيريا حيث اسرع لمشاركة البروليتاريا الروسية في كفاحها البطولي ضد القيصرية في عام ١٩٠٥ ، وفي عام ١٩٠٨ القت شرطة القيصر القبض عليه في مطبعة سرية بمدينة اودیسا وحكم عليه بالنفي مدى الحياة حيث لاقى حتفه في سيبيريا واخوه الثالث تودور اعتقل بسبب نشاطه السري وعذب بوحشية وفظاظة بغية انتزاع اعتراف منه على رفاقه وقد فضل ان يفارق الحياة على ان يبوح باسم اي منهم وكان ذلك عام ١٩٢٥ .

يقول لينين :

ان « نظور البروليتاريا لم يجر ولا كان ممكنا ان يجري في اي مكان في العالم الا عن طريق النقابات ، وعن طريق نضالها مع حزب الطبقة العاملة . ان استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسة هو خطوه هائلة الى الامام تعظمها البروليتاريا كطبقة ، ولذا يجب على الحزب اكثر من السابق ان يري النقابات ، لا بالطريقة القديمه وحدها ، بل وبطريقة جديدة، وان يؤيدها ، وان لا ينسى ، الى جانب ذلك ، ان النقابات بقي وستبقى لزمن عديد « مدرسة للشيوعية » لا بد منها ، مدرسة اعدادية للبروليتاريا لاجل تحقيق ديكتاتوريتها ، اتحادا ضروريا للعما لمن اجل انتقال ادارة كامل الحياة الاقتصادية في البلاد انتقالا تدريجيا الى ايدي الطبقة العاملة - لا بعض الحرف - وبعد ذلك الى ايدي الكادحين جميعا » (٦)

واكثر من ذلك فان لينين يؤكد على انه « ما لم يصل هذا النضال الى مرحلة معينة فانه لا يمكن الاستيلاء على السلطه السياسية كما لا ينبغي الاقدام على اخذ السلطه السياسية » (٧)

لقد ترجم دیمتروف هذه القواعد ، بل المبادىء اللينينية في التنظيم والعمل الشيوعي في الوسط النقابي ، قبل ان يصوغها لينين ، وهو لما يزل فتا يافعا ، حيث استخدم الكلمة شفهيا وتحريريا في النضال دفاعا عن العمال ودودا عن مصالحهم ، ومنذ عام ١٨٩٦ ، ولم يكن قد تجاوز ، بعد الرابعة عشرة من عمره ، بدا باستخدام الكلمة المكتوبة ، حيث اصدر مع رفيق له من عمال التجليد صحيفة « كوكوريفو» وقد كتب مقالها الافتتاحي واهم موضوعاتها ، وقد طبعها بنفسه ليلا في المطبعة حيث كان يعمل وكانت محتوياتها تدور حول مضمون الشعار الذي رفعته الصحيفة : « النضال من اجل الحقيقة والعدالة » . كاشفا الغطاع عن الرياء الذي كانت تشيمه الجمعية الانجيلية مما اثار عليه حفيظة المجلس الروحي للجمعية ، وسوف يكون له شان فيما بعد مع دعاة النظرات الانجيلية والمبشرون بمبادئها ، اذ بقي يلاحقهم فاكتسب حقدهم ونقمهم عليه !

وقد انضم ، وهو لا يكاد يبلغ عامه الخامس عشر الى الحركة الثورية البلغارية باكثر ما يكون من النشاط . فموقفه ومعارفه ، وشجاعته وامانته التي لا تحد لقضية الطبقة العاملة ، كل هذه الخصائص رفعته « بسرعة الى صفوف منظمي الحركة النقابية لعمال الطباعة . فمنذ السادسة عشرة من العمر كان دیمتروف احد الاعضاء النشيطين الاوائل في نقابة عمال الطباعة . وقد نشر دیمتروف اول مقال له في الصحافة العمالية في جريدة النقابة « عامل الطباعة » سنة ١٨٩٧ . وعالج فيه قضية نضال عمال المطابع من اجل ظروف عمل صحية » (٨) .

كان جورجي دیمتروف يمتهن حرفة تنضيد الحروف ، وكان الوحيد من بين العمال الذين يعرفون خط رئيس وزراء بلغاريا الرجعي الدكتور رادوسلافوف ، الذي كان يكتب مقالات يلقي خطبا يهاجم فيها العمال ، فكان دیمتروف يحذف كل العبارات والجمل التي ترد بمقالات او خطب رادوسلافوف ضد العمال ، وعندما اصبح دیمتروف نائبا في البرلمان دخل في مشادة مع رئيس الوزراء ، صرح - رادوسلافوف السري وعذب بوحشية وفظاظة بغية انتزاع اعتراف منه على رفاقه وقد فضل ان يفارق الحياة على ان يبوح باسم اي منهم وكان ذلك عام ١٩٢٥ .

يقول لينين :

ان « نظور البروليتاريا لم يجر ولا كان ممكنا ان يجري في اي مكان في العالم الا عن طريق النقابات ، وعن طريق نضالها مع حزب الطبقة العاملة . ان استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسة هو خطوه هائلة الى الامام تعظمها البروليتاريا كطبقة ، ولذا يجب على الحزب اكثر من السابق ان يري النقابات ، لا بالطريقة القديمه وحدها ، بل وبطريقة جديدة، وان يؤيدها ، وان لا ينسى ، الى جانب ذلك ، ان النقابات بقي وستبقى لزمن عديد « مدرسة للشيوعية » لا بد منها ، مدرسة اعدادية للبروليتاريا لاجل تحقيق ديكتاتوريتها ، اتحادا ضروريا للعما لمن اجل انتقال ادارة كامل الحياة الاقتصادية في البلاد انتقالا تدريجيا الى ايدي الطبقة العاملة - لا بعض الحرف - وبعد ذلك الى ايدي الكادحين جميعا » (٦)

واكثر من ذلك فان لينين يؤكد على انه « ما لم يصل هذا النضال الى مرحلة معينة فانه لا يمكن الاستيلاء على السلطه السياسية كما لا ينبغي الاقدام على اخذ السلطه السياسية » (٧)

لقد ترجم دیمتروف هذه القواعد ، بل المبادىء اللينينية في التنظيم والعمل الشيوعي في الوسط النقابي ، قبل ان يصوغها لينين ، وهو لما يزل فتا يافعا ، حيث استخدم الكلمة شفهيا وتحريريا في النضال دفاعا عن العمال ودودا عن مصالحهم ، ومنذ عام ١٨٩٦ ، ولم يكن قد تجاوز ، بعد الرابعة عشرة من عمره ، بدا باستخدام الكلمة المكتوبة ، حيث اصدر مع رفيق له من عمال التجليد صحيفة « كوكوريفو» وقد كتب مقالها الافتتاحي واهم موضوعاتها ، وقد طبعها بنفسه ليلا في المطبعة حيث كان يعمل وكانت محتوياتها تدور حول مضمون الشعار الذي رفعته الصحيفة : « النضال من اجل الحقيقة والعدالة » . كاشفا الغطاع عن الرياء الذي كانت تشيمه الجمعية الانجيلية مما اثار عليه حفيظة المجلس الروحي للجمعية ، وسوف يكون له شان فيما بعد مع دعاة النظرات الانجيلية والمبشرون بمبادئها ، اذ بقي يلاحقهم فاكتسب حقدهم ونقمهم عليه !

وقد انضم ، وهو لا يكاد يبلغ عامه الخامس عشر الى الحركة الثورية البلغارية باكثر ما يكون من النشاط . فموقفه ومعارفه ، وشجاعته وامانته التي لا تحد لقضية الطبقة العاملة ، كل هذه الخصائص رفعته « بسرعة الى صفوف منظمي الحركة النقابية لعمال الطباعة . فمنذ السادسة عشرة من العمر كان دیمتروف احد الاعضاء النشيطين الاوائل في نقابة عمال الطباعة . وقد نشر دیمتروف اول مقال له في الصحافة العمالية في جريدة النقابة « عامل الطباعة » سنة ١٨٩٧ . وعالج فيه قضية نضال عمال المطابع من اجل ظروف عمل صحية » (٨) .

كان جورجي دیمتروف يمتهن حرفة تنضيد الحروف ، وكان الوحيد من بين العمال الذين يعرفون خط رئيس وزراء بلغاريا الرجعي الدكتور رادوسلافوف ، الذي كان يكتب مقالات يلقي خطبا يهاجم فيها العمال ، فكان دیمتروف يحذف كل العبارات والجمل التي ترد بمقالات او خطب رادوسلافوف ضد العمال ، وعندما اصبح دیمتروف نائبا في البرلمان دخل في مشادة مع رئيس الوزراء ، صرح - رادوسلافوف - من على كرسي رئاسة الوزراء في البرلمان ، موجها كلامه لنائب العمال البلغار ، دیمتروف :

« انا اعرفك منذ امد بعيد . فلقد كنت متهورا منذ السادسة عشرة من العمر ، عندما كنت تدخل تعديلات على مقالاتي » (٩) .

وفي عام ١٩٠٠ انتخب دیمتروف سكرتيرا لنقابة عمال الطباعة في صوفيا . وقد ساعده مركزه هذا على توسيع نشاطه الثوري فشرع في تنظيم الحركة النقابية لعمال الطباعة في كافة انحاء بلغاريا . و « عقب الانقسام الذي طرا على الحزب الاشتراكي الدیمقراطي البلغاري في اذار - مارس - عام ١٩٠٣ ، نهض دیمتروف بعبء النضال الكبير ضد القيادة الانتهازية في نقابة عمال الطباعة ، فنظم فيها معارضة ، وفيما بعد وقف على راس نقابة عمال الطباعة الثورية الطبقية » (١٠) وبدات « الصحيفة العمالية » اللسان المركزي للحزب منذ شهر حزيران ١٩٠٣ بنشر مقالاته تحت عنوان « الانتهازية في النقابات » . وكانت موجهة ضد سياسة التعاون الطبقي في الحركة النقابية(١١) .

وفي عام ١٩٠٤ برز دیمتروف باعتباره اتشط المساهمين في توحيد حركة الطبقة العاملة البلغارية النقابية ، وعندما تكللت الجهود المشتركة التي بذلت من اجل قيام اتحاد عام للنقابات العمالية النقدية ، انتخب دیمتروف عضوا في اللجنة المركزية للاتحاد النقابي العمالي العام ، وحين اصبح سكرتيرها ، وباسمه ارتبط نضال الطبقة العاملة ضد الحرب ومن اجل السلم والعدالة الاجتماعية . « وبعد النجاحات الاولى للحركة النقابية الثورية التي امتدت في عامي ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ، اتحادات نقابية عمالية ممركزة في بلغاريا . وهو الذي وضع القانون الداخلي وبرامج العمل لهذه الاتحادات النقابية، انذاك» (١٢) وابتداء من عام ١٩٠٨ اصبح دیمتروف بحرر بنفسه الزاوية النقابية في « الصحيفة العمالية » الناطقة باسم الحزب ، حيث اخذ يكتب بانتظام حول قضايا الساعة للحركة النقابية في بلغاريا وفي عام ١٩٠٩ كلفه الحزب بقيادة الحركة النقابية العمالية في بلغاريا كلها .

ولم يقدر لدیمتروف ان ينجح في تعبئة العمال وجمع صفوفهم لو لم يصبح بفضل نضاله وتفانيه رمز الطبقة العاملة وقائدها الشجاع الذي لا يعرف الكلل او التردد امام ارباب العمل والسلطات الحاكمة . فمنذ عام ١٩٠٦ اربطت باسمه نضالات الطبقة العاملة كلها تقريبا . ففي هذا العام كانت الاضرابات التي بداها عمال السكك الحديد وعمال المناجم تعم كافة فروع الانتاج تقريبا و « بحثل مكانا خاصا في هذه الحركة نضال عمال مناجم بيرنيك للبروليتاريا الصناعية في بلغاريا ، ولعب دورا تاريخيا ، بان شق طريقا واسعة امام نفوذ حزب الاشتراكيين المتشددين وسط العمال الصناعيين . وقد قسم البلاد الى معسكرين : الدولة البورجوازية ، صاحبة حوض بيرنيك للفحم الحجري ، من جهة ، والجماهير العمالية واللفلاحية المستعبدة من جهة اخرى » (١٣) .

وقد دام هذا الاضراب البطولي خمسة وثلاثين يوما بقيادة دیمتروف ومنظمة الحزب في صوفيا حيث جندت قرابة خمسين عضوا نشيطا من عمال وطلاب الى قرى بيرنيك للقيام بحملة تحريك جماهيرية واسعة لتاييد الاضراب وتدعيمه وقد وقف المؤتمر الثالث للحزب ، امام موجة الاضرابات هذه وقفة تقييم وتحليل ، عبرت بوضوح عن اعجاب المؤتمرين بنضال المضربين البطولي ، ودعوتهم للعمل « بحزم في سبيل توطيد نقاباتهم ، لكي يحضروا انفسهم فيها وبواسطتها من اجل مساهمتهم الاكثر مجدا في نضالات الطبقة العاملة العامة من اجل الظفر بمثلها الاعلى : الاشتراكية » (١٤) .

«وشرع دیمتروف ينشر خبرة الاضراب وسط النقابات والحزب» بواسطة الصحافة والاجتماعات وبهذه الخبرة اغنى ذلك النضال الذي خاضه بعناد من اجل تنظيم العمال في مختلف فروع الانتاج » (١٥) . وكلما استخلص درسا واكتسب خبرة في انحاء صيفة النضال النقابي النظرية ، كان يعمد الى اختبارها على صعيد الواقع واخضاعها لمعطيات الممارسة العملية ، وبهذه الطريقة كان دائما يقرن النظرية بالممارسة العملية . وعلى سبيل المثال فقد بقي دیمتروف يخوض صراعا عنيدا ضد الاصلاحيين ، فكنت تراه يجوب البلاد شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا يحرض العمال ضد النقابيين الانتهازيين ونقاباتهم الاصلاحية ، مستشهدا بفشل الاضرابات التي ينظمونها في انتزاع حقوق العمال ، بينما ينجح هو والنقابيون الثوريين في ارغام ارباب العمل والسلطة على الركوع والرضوخ لمشيئة العمال والتسلح بمطالبهم ، ويرجع السبب في كل هذه الانتصارات الى ارادة العمال الموحدة وصلابة القيادات النقابية التي تعبر عن تلك الارادة الصلبة ، بينما يرجع سبب الفشل الى عجز النقابيين الانتهازيين وعدم قدرتهم على توحيد ارادة العمال ، وهكذا استمر في قيادة الصراع وقيادة الاضرابات العمالية الملاحقة والمنظمة . فقد قاد بنجاح اضراب عمال النسيج في سيلفين عام ١٩٠٨ ، والاضراب العنيد لعمال معمل الكبريت في كوستينينتس عام ١٩٠٩ والذي استغرق ١٢٣ يوما واضراب عمال الناجم في بلاكانيتسا عام ١٩١٠ واضراب عمال النبغ في بلودفديف في العام نفسه والاضراب العام الذي شنه عمال الطباعة في صوفيا عام ١٩١٣ !

وخلال هذه الحملة المتواصلة من الاضرابات والتحريض والتحريك كان نفوذه الشخصي والحزبي يتسع مقابل عزلة الاخرين ، ولكن الشيء الذي يجلب النظر الى حنكة دیمتروف ووعيه هو ان هذه الانصارات المتعاقبة والمستمرة لم تدفعه للغرور ولم تنسه ولو لفترة اهمية الوحدة للحركة النقابية ، ولذلك نلاحظه يبادر لوضع مسالة الجبهة الموحدة مع الاصلاحيين اثناء اضراب عمال المطابع العام ولكن القادة الاصلاحيين رفضوا البرنامج الطبقي الكفاحي للعمل النقابي وبذلك احبطوا مبادرته وتحملوا مسؤولية عدم وحدة حركة الطبقة العاملة النقابية ! ومع دعوته للوحدة فقد استمر يقود نضال العمال وينتزع مواقع النقابات الاصلاحية منها ، وبحتلها موقعا موقعا . وكان يواصل النضال تارة للدفاع عن حقوق العمال المكتسبة وصيانتها ، كالنضال الذي قاده دیمتروف في عام ١٩١١ ، ضد محاولات السلطة لالغاء قانون عمل النساء والاحداث ، او النضال ضد التضييق على حقوق العمال المكتسبة ومحاولتها تجريد العاملات اللواتي انهين الواحدة والعشرين من حق التصويت في هذه اللجان المعدة في الاساس لحماية النساء والاحداث من عسف السلطة وارباب العمل ، وتارة اخرى كان يشن النضال في سبيل انتزاع حقوق جديدة للطبقة العاملة ، كما حدث حين عبا دیمتروف الجماهير العمالية للكفاح من اجل مشاركة العمال في هيئة تفتيش العمل ، بممثلين منتخبين عنهم ، او كالنضال العنيد الذي خاضه العمال بقيادة دیمتروف من اجل التمتع بعطلة ايام الاحاد والاعياد ماجرة كاملة او النضال ضد البطالة وفي توفير فرص للعمل ، او النضال ضد سياسة الضرائب الحكومية ، ومن اجل تحقيق مصالح سائر الكادحين .

كان دیمتروف يهتم كثيرا في دور الكلمة المكتوبة واثر التجربة الحسية الملموسة على الجماهير العمالية ولذلك وجدناه ينشط من ١٩٠٩ - ١٩١٠ في كتابة عدة مقالات في الصحافة العمالية ، ووجدناه يقود المظاهرات بنفسه منذ عام ١٨٩٩ يوم شارك بشكل نشيط بمظاهرات العمال احياء لذكرى الاول من ايار ، وقاد شخصيا مسيرة عمال برينك الى صوفيا عام ١٩١١ . ومثلما حارب الاصلاحية فقد حارب النقابية الفوضوية ومن اقواله عندما افتح « النادي النقابي الثوري » في بامبول عام ١٩١١ « ان الفوضوية هي اداه في ايدي البورجوازية » (١٦) . وفي عام ١٩١٠ اصدر كراسه : « الحركة النقابية في بلغاريا » وفيه قام باستعراض لتطور بلغاريا الاقتصادي ونشوء وتطور الحركة النقابية ورسم لوحة مسيرتها منذ ١٩٠٤ حتى عام ١٩١٠ ، وحدد افاق نضالها القادم ، وما جاء فيه :

« ان نجاحات الحركة النقابية الاشتراكية في بلادنا مدهشة ولا جدال فيها . فقد تطورت النجمعات المهنية الصغيرة العاجزة وارتفعت خلال بضع سنين الى مستوى النقابات ، التي يجري انشاؤها في سائر انحاء البلاد ، ونفير ينفولدها الجماهير العمالية الواسعة ، وباستمرار تشحذ وتزيد اسلحتها في النضال وترفع يوما حواجز امتن وامتن ضد الاستثمار البربري والجرائم التي لا مثيل لها في كل التاريخ البشري ، والتي ترتكبها الراسمالية المجرمة بحق الطبقة العاملة » (١٧) .

« لقد نشط دیمتروف يسعى الى رفع الحركة النقابية العمالية في بلغاريا الى المستوى الذي تتطلبه المهام السياسية التي كان يضعها الحزب . فما النقابات العمالية للنضال ضد تدخل الدولة في النضالات الاضرابية للطبقة العاملة ، للنضال ضد السياسة الحكومية المعادية للعمال ، للنضال ضد سياسة النهب الامبريالية التي كانت تتبعها البورجوازية البلغارية » (١٨) .

ولذلك نراه يرسم في كراسه « الحركة النقابية في بلغاريا » افاق نضال المستقبل بقوله « ان صواب طريقنا تثبه الحياة نفسها بروعة النتائج التي توصل اليها حتى الان . لقد مرت حركتنا النقابية بنجاح عبر جميع الالام والازمات هذه الرافقة الحتمية لمرحلة الطفولة من كل حركة عمالية ، ونقف اليوم بثبات على اقدامها وتتسلح بسرعة بكافة وسائل الكفاح ، والاسلحة والمناقب الضروري من اجل انجاز مهامها الشاملة بنجاح .

اننا اذ نقف وسط نيران مستعرة من النضال الحضاري مع الراسماليين والدولة من اجل فرض النقابات باعتبارها الممثلة والمدافعة الطبيعية الشرعية عن العمل في الانتاج من اجل اوسع تحسين وضع الطبقة العاملة والحصول على تشريع عمالي بالفعل ، تواجهنا ، في اللحظة الراهنة المهام المفعمة بالامتحانات والنضالات ، مهمة السير بجراة وسرعة اكبر في نفس طريق التنظيم الطبقي والتثقيف الاشتراكي والنضال المتفاني اللاهوادة فيه ضد الراسماليه وجميع مساندیها » (١٩) .

لقد افض نشاط دیمتروف مضاجع الاشتراكيين الاصلاحيين ، واثار استيائهم وحقدهم الاسود عليه وقد صرح زعيمهم يانكوساكوزوف (٢٠) مخاطبا اتباعه الاصلاحيين بقوله : « هل باستطاعة منظمانا ان تنمو الى حد انه ما ان يعلن اضراب في مكان ما حتى نجدون دیمتروف هناك بالتاكيد ؟ » (٢١) وكانت دائرة نشاط ونضال دیمتروف تطبق عليهم وتضيق بهم يوما فيوما وساعة بعد ساعة ، لدرجة انهم لم يبق لديهم سوى اختيار واحد من طريقين اما ان يستسلموا للانحدار الكلي والثلاثي من الوجود واما ان يتخلصوا من دیمتروف ، وقد اختاروا الطريق الثاني ، وقاموا بعدة محاولات لاغتياله ولكنهم لم ينجحوا وخاب فالهم . واثناء خطابه اطلقت عليه النار وبسنما قبض العمال على الجاني مطلق النار ، فان دیمتروف اسرع في الغاء خطابه وسط عاصفة من الحماس البروليتاري .

وكان الجاني المسؤول الاول للاصلاحيين في المنطقة . وفي عام ١٩١١ ، هاجم زعرة من الحكام المحليين والبيضانات الاجتماع المنعقد في قرية ساموفودينيه في منطقه ترنوفو ، الذي كان يخطب فيه دیمتروف ، وحاولوا القاء القبض عليه ولكن سكان القرية صدوهم وقاموا بمظاهرة احتجاجية على هذا العمل الاجرامي !

لقد ناضل دیمتروف باعتباره سكرتير اتحاد النقابات العام ، و « مؤسس للصحافه العمالية ضد الظروف الانتهازية عن « حماد » النقابات، وقاوم المحاولات لسلخ النقابات عن مجمل نضال الطبقة العاملة من اجل الاشتراكية ، وعرف من التجربة المريرة للصراع الطبقي ان الانقسام يؤدي الى هزيمة البروليتاريا فسعى لتشكيل نقابات قوية متراصة الصفوف ستتسع تنظيم المقاومة العمالية لاضطهاد البورجوازية الطبقي » (٢٢) .

ومنذ عام ١٩١٣ اصبح دیمتروف نائبا في البرلمان واسمر يفوز في كل مرة حتى عام ١٩٢٣ ، وكان اول عامل سياسي يدخل الى البرلمان باعتباره ممثل الطبقة العاملة الاول ليس فقط في بلغاريا ، بل وفي جنوب شرقي اوروبا ايضا ، ففي بقي يمارس دوره النضالي باعتباره ممثل الحزب السياسي وسكرتير اتحاد النقابات العالمية العام في بلغاريا طيلة هذه الفترة من نشاطه الغني والسري .

المصادر :

(١) تيودور جيفكوف - الداعية الثوري والطري - مجلة « الوقت » البوبية .
(٢) المصدر ذاته .
(٣) ميتيلا بلاغويفا - جورجي دیمتروف - سيرة حياته - ص٧ .
(٤) فاسيل كولاروف (١٨٧٧ - ١٩٥٠) شخصية بارزة في الحركة الشيوعية البلغارية والعالمية وكان طوال سنين عديدة عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري، كما كان خلال اعوام ١٩١٩ - ١٩٢٢ ، سكرتيرا للجنة الحزب المركزية . وقد قاد في ايلول عام ١٩٢٣ مع جورجي دیمتروف الانتفاضة الشعبية المسلحة ضد الفاشية ، وعمل ١٩٢٢ ، اصبح عضوا في هيئة ثانية اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية (الكومنترن) واستمر حتى عام ١٩٤٣ وبين ١٩٢٢ - ١٩٢٣ ، كان سكرتيرا عاما للاممية الشيوعية. وكانت السنوات الاخيرة من حياته مكرسة للاسهام ببناء الاشتراكية في بلغاريا .
(٥) راجع المصدر رقم ٣ .
(٦) لينين - مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية - ج٣٢ ج١ - ص٥٠٠ .
(٧) المصدر السابق - ص٥٠٢ .
(٨) جورجي دیمتروف - سيرة حياته - ص٢٧
(٩) المصدر السابق .
(١٠) المصدر السابق - ص٣٩ .
(١١) المصدر السابق .
(١٢) المصدر السابق - ص٤٠ .
(١٣) المصدر السابق - ص٤٥ .
(١٤) المصدر السابق .
(١٥) المصدر السابق .
(١٦) المصدر السابق - ص٥٤ .
(١٧) المصدر السابق - ص٥٥ .
(١٨) المصدر السابق - ص٥٠ .
(١٩) المصدر السابق - ص٥٦ .
(٢٠) يانكو ساكوروف (١٨٦٠ - ١٩٤١) حامل الايديولوجية الانتهازية في الحركة العمالية البلغارية . وبعد انقسام الحزب عام ١٩٠٣ ، تسراس الجناح الاشتراكي الدیمقراطي اليميني .
(٢١) المصدر السابق - ص٥٨ .
(٢٢) راجع الهامش رقم ١ .

هـ